كتاب

الإسلام والإنسان المعاصر

تأليف
فتحى رضوان

الإسلام والإنسان المعاصر

مؤلف الكتاب الأستاذ فتحى رضوان الذى استسمع سؤالا غير منطوق عن العنوان الذى اختاره لكتابه. فاستهل الصفحة الاولى بأن الأصل أن كل الشرائع انسانية، فما يضع مشرع قانونا، إلا وغايته أن يوفر للجماعة التى وضع لها هذا القانون، الأمن والقوة والسعادة. فإن لم ينص القانون على ما يوفر هذه الغايات الكبرى، فالأمر لا يخرج عن حالين: إما أن يكون ذلك عن قصور واضع الشرع، وعجزه عن تبين ما يحقق للناس السلام والرفاهية، وإما كرهه لذلك، ولكنه يضمره ويخفيه ويدعى معه أنه يسعى لما يسعد الناس، ويجهد فى فتح سبيل القوة والمتعة لهم، وقد يجد من يروج له دعواه، ثم يجد من يصدقها، ومع مر الأيام، تسوق له الظروف من يسبغ عليه – جهالة أو غرضا – صفة المشرع الحكيم، والحاكم الرفيق.

الشرائع كلها، إنسانية حقا، أو منتسبة إلى الإنسانية ادعاء فإذا كان ذلك صحيحا، فما معنى قولنا إن الإسلام، أو شرعه هو شرع إنسانى؟

وهنا يجيب المؤلف بأن الإسلام هو الشريعة التى استأثر بها وبأحكامها الاهتمام بالإنسان، والاحتفال بشئونه، ورعاية كل ما يتصل به: مبدئه ونفسه وروحه وعقله وعقيدته وفكرته، وعمله، وبدايته، ونهايته، وثوابه وعقابه وتفرده، ووحدته، واندماجه وجماعته، وأبنائه وزوجه وأمواله وثروته، وناره وجنته، وضعفه وقوته، وفضائله ورذائله، ودعاويه وأباطيله، والأمل فيه، واليأس منه، وأمور أخرى لا تعد ولا تحصى، تتصل بالإنسان قبل أن يخلق آدم، حتى آخر الزمان، هى مصدر كل أحكام القرآن، بل كل

الإسلام، بكتابه وسنته، وإجماعه وأقيسته، ووسائله كلها فى التشريع والتقنين... ولست تجد فى الأديان، منزلة وغير منزلة، ولا فى الكتب إلهية أو بشرية، أو فى المذاهب فلسفية أو دينية أو فى المناهج قديمة أو حديثة، من جعل الإنسان أساسا ومصدرا ثم جعله وسيلة وغاية، ثم جعله مجالا للبحث، ثم جعله رائدا يبحث، وينقب، وينظر فى نفسه، وفى الآفاق، وفيما حوله، وفيما سبقه، كما فعل القرآن الذى يصفه الرسول فيقول (هو نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم.) ...

والكتاب عشرة فصول: الإيمان – الجهاد – المعجزات – إياك نعبد – الإسراء – فرعون مصر– إسرائيليات – إنا فتحنا لك – خلافة الإنسان – الإعجاز.

والمؤلف فى هذه الفصول كلها يبذل جهدا واضحا ترفده قراءة واسعة فى موضوعها أو موضوعه ولكن فصلين بعينهما يقف عندهما القارىء وقفة طويلة: الفصل السادس والفصل السابع.

وربما شدنى إلى هذا الفصل أنى كتبت سنة ١٩٧٤ فصلا عن «فرعون مصر» فى كتابى «أعيدوا كتابة التاريخ».

وقد التقى الأستاذ فتحى رضوان معى، فى أكثر من نقطة حول هذا الموضوع، فى كتابه «الإسلام والإنسان المعاصر».

استهل المؤلف فصل «فرعون مصر» بتكبيرة حميمة لما حظيت به مصر من شرف الذكر فى القرآن الكريم بما لم ينل شرفه بلد من البلاد فلم يذكر الله (بلدا آخر، لا فى الشرق ولا فى الغرب حتى ولا بلدا مما عرف العرب، واتصلوا به واختلفوا إليه كاليمن والشام، التى كانت قوافل العرب وفى مقدمتهم قريش تروح إليها، وتغدو منها، فهما فى القرآن الكريم رحلة الشتاء والصيف فحسب... حتى مكة مسقط رأس الرسول عليه السلام لم تذكر إلا مرتين: (وهو الذى كف أيديهم.... الخ) الفتح ٢٤ انظر ص ٢ . عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة) وقوله (إن اول بيت وضع للناس للذى ببكة) آل عمران ٩٦

ومثلها المدينة مرة فى الآية الحادية بعد المائة فى سورة التوبة (وممن حولكم من الأعراب منافقون، ومن أهل المدينة مردوا على النفاق) وفى الآية العشرين بعد المائة من السورة ذاتها (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) .

كما ذكرت (مدين) مرة دون أن يقرنها، موقعا، بوصف أو بيان ولكن مصر ذكرت فى القرآن الكريم مرات:

(وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه) يوسف ٢١

(فلما دخلوا على يوسف أوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) يوسف ٩٩

(ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون) الزخرف ٥١

(أهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم) . البقرة ٦١

وموضوع الإسرائيليات مر فى الكتاب سريعا سرعة يبدو معها مقحما عليه... وكان من الطبيعى قبل الحديث عن تفسير الحديث أن يطرح الكتاب الوضع فى الأحاديث نفسها، بله تفسيرها... وهو موضوع خطير يجب توضيحه للمسلم العادى مادام الموضوع قد طرق على أن هذا الموضوع، وفاه كتاب (المنار) للإمام ابن قيم الجوزية وأجمل علامات وضع الحديث فى:

اشتماله على المبالغات، تكذيب الحس له، سماحة الحديث وركونه مما يسخر منه، مناقضة الحديث لما جاءت به السنة مناقضة بينة، وضوح الادعاء فيه، أن يكون كلامه لا يشبه كلام الأنبياء، أن يكون الحديث باطلا فى نفسه، خوضه فى موضوعات لها أهلها المتخصصون فيها، أن يكون الحديث مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه، مخالفة الحديث صريح القرآن، وركاكة ألفاظ الحديث وسماجتها، ما يقترن بالحديث من القرائن التى يعلم بها أنه باطل.

وأكد الامام ابن قيم الجوزية بالأدلة القاطعة بطلان الألوان الآتية من الحديث.

أحاديث ليلة النصف من شعبان، أحاديث العقل، الأحاديث التى ذكر فيها الخضر وحياته والخضر موضوع واسع للإسرائيليات، كل حديث فى الصخرة، أحاديث صلوات الأيام والليالى، أحاديث ذم الحبشة والسودان، أحاديث الجار، أحاديث ذم الأولاد، أحاديث التواريخ المستقبله مما يدخل فى باب التنجيم، أحاديث عاشوراء، أحاديث فضائل السور، أحاديث المنتسبين إلى السنة فى فضائل أبى بكر الصديق، وأحاديث الرافضة فى فضائل على، أحاديث فى مناقب الإمامين أبى حنيفة والشافعى وأحاديث من آخرين فى ذمهما، الاحاديث السياسية ما بين مدح وقدح مما توزعه تجمعيات المنتفعين على الدولة الأموية

والدولة العباسية بالعدل والقسطاس أحاديث الطقوس من وضوء وصلاة، أحاديث الأطعمة والطعام، أحاديث مدح الغربة، أحاديث الحياء.

ومن فضل الله أن ظاهرة الوضع فتح المسلمون عيونهم عليها محدثين وقدامى كالبخارى ومسلم والنسائى والعقيلى وابن حيان وابن عدى والأزدى والدارقطبى، وابن الجورى والعسقلانى، والساحى وابن حرم الصدفى الأندلسى والباجى سارح الموطأ وابن فرج الأندلسى الإشبيلى، والمارديبى، والبهنيسى والسيوطى وغيرهم.

والموضوعات الدينية البحتة فى هذا الكتاب تحتاج إلى إضافات كثيرة وعميقة. مثلا عقد المؤلف فصلاً عن الآية (إياك نعبد) فوقف طويلا عند كتب التفسير، كما وقف طويلا عند التقديم والتأخير فى لفظى (اياك) مما يسمى، (القصر) هذه اللفظة التى كان يمكن أن توفر سطورا كثيرة مما ورد بالكتاب وبعد المطاف وطول الطواف لم ينفذ الفصل إلى أعماق الآية الكبيرة.

فالإيمان فى الإسلام عندى هو ما استقر فى القلب وصدقه العمل فلا يقول قائل (إياك نعبد وإياك نستعين) ثم يتخذ من دونه أربابا. ولا يقول قائل (لا حول ولا قوة إلا بالله) ثم يخاف من إنسان حاكما أو محكوما. ومن هنا يكون الإسلام كرامة واعتدادا حتى كلمة عبد فيه تعنى منتهى الحرية لأن (عبدالله) تنفى أن يكون عبد غيره ممن خلق... من عبيده.

إن التوحيد فى الاسلام سر البطولة (لا غالب إلا الله) ليست تميمة ولكن عقيدة... الله تعالى فيه سمو على الأشياء وعلو على الصفات.

من هنا يكون الإسلام سلاما فى الروح وسلاما على الأرض إنه سلام يوم أعاد بناء الإنسان العربى، وهو سلام يوم أعاد السلام إلى نفوس تفرقت أشتاتا.

كل شىء يسكب السلام على النفس فهو إسلامى الانتماء.

الاسلام لكل الإنسان ولكل انسان.

(إياك نعبد وإياك نستعين)

ما أحرى هذه الآية بسيال من المعانى توحيها وتهديها معان يجب ان تلتفت اليها التربية فى البيت والمدرسة لتستقيم النشأة ويستقيم الإنسان فإن الخط المستقيم مركز الثقل فيه، داخله، ولكن الخط (المايل) مركز ثقله، خارجه. والإنسان الذى داخله خاو لا شىء فيه يرتكز عليه، أو إيمان يستند إليه، أو مبدأ يصدر عنه... إنسان لا يستقيم ولا يستقيم له أمر...

ومثل هذا الإنسان حين يتجوف من المعنى، أو يتخوف من مخلوق مثله، أو يتخوى من القيمة، فهو خاو، خاب... ولا تستوى الظلمات والنور.

obeikandl.com